الإحالة في نحو النص

د. أحمد عفيفي

الإحالة في نحو النص

أ.د أحمد عفيفي

كلية دار العلوم -جامعة القاهرة

* مع التطبيق على مجموعتين قصصيتين:

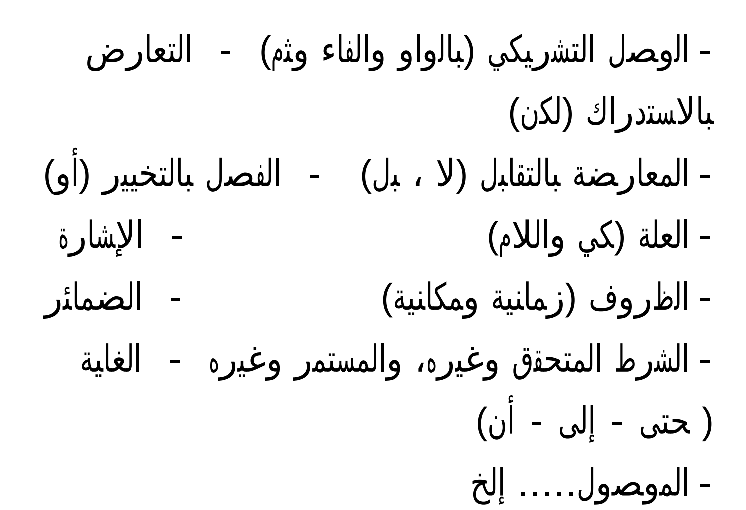
الأولى: " البحث عن قطعة صابون" للأديب أحمد الزعبي.

الثانية: "قبل أن تنطفئ النار" للأديب إبراهيم سعفان

تمهيـد

تعد قضية الاتساق النصي ووسائله من القضايا المهمـة التي شغلت علم اللغة النصي ونحـو الـنص؛ لأن الاتسـاق النصي يتآزر مع مجموعة من الأنظمـة النصـية الأخـرى للوصول إلى ما يطلق عليه "كلية النص" أي أن النص كل لا يتجزأ. ومن هنا يحكم للنص بنصيته، فيخضع في هذه الحالة فقط للدراسة، فالروابط إذن وسيلة مهمة من وسـائل الحكـم بالنصية، يتمثل في السبك والحبك الـذين يمـثلان العصـب الأساسي لنحو الـنص مـع مجموعـة المعـايير النصـية الأخرى[1]، لهذا ركز عليه علـم اللغـة النصـى تمحيصـا وتفصيلا وتأملا؛ حيث ظهـر التماسـك النصـي بأشـكاله وملامحه موزعاً ومتنوعاً في أطر كثيـرة، اسـتمدت تلـك الأطر قوتها لا من علم اللغة النصي ولا من نحو النص فقط، بل من علوم كثيرة، ومن هنا تنوعت تلك الوسائل وضـربت بجذورها في علوم مثل: البلاغة والنحو والتاريخ والمنطـق، بل والثقافة العامة... إلخ.

وعرض اللغويون لنماذج كثيرة من الربط منها:



- الوصل التشريكي (بالواو والفاء وثم) - التعارض بالاستدراك (لكن)
- المعارضة بالتقابل (لا ، بل) - الفصل بالتخيير (أو)
- العلة (كي واللام) - الإشارة
- الظروف (زمانية ومكانية) - الضمائر
- الشرط المتحقق وغيره، والمستمر وغيره - الغاية (حتى - إلى - أن)
- الموصول..... إلخ

وجاءت الإحالة REFERNCE لتكون واحدة من الوسائل المهمة للربط؛ حيث استطاعت أن تمزج بين بعض الأنواع السابقة كاستخدام ضمائر الغياب والإشارة واسم الموصول.. إلخ.

والإحالة من أهم وسائل السبك Cohesion وهي من المعايير المهمة التي تسهم بشكل فعال في الكفاءة النصية،

تلك الوسيلة من أهم الوسائل المتعددة والمتنوعة لسبك العبارات لفظياً دون إهدار لترابط المعلومات الكامنة تحتها، وقد اعتبر "روبرت دي بوجراند" الإحالة من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصية Efficiency، والمقصود منها كما قال :" هي صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل "[٢].

ومن المزايا المهمة للإحالة والتي ينبغي الإشارة إليها أنها قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة والربط بينها ربطا واضحاً . وهذا ما يؤكد أهمية الإحالة في الربط النصي.

ولهذا يشير "روبرت دي بوجراند" إلى أنه ليس من المستحسن أن نجعل مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة.[٣]

وإذا كانت الإحالة مرتبطة بالنص وكلماته من حيث الترابط اللفظي الملحوظ، فإننا لا نغفل أن تكون الإحالة من قبيل الترابط المفهومي فهو الهدف والغاية، ومن هنا سنعطي لها أهمية من هذين الاعتبارين، ولن نفعل مثلما فعله هاليدي

ورقية حسن من التركيز على الارتباط الملحـوظ (اللفظـي) وعدم إعطاء كبير انتباه للارتباط الملحوظ (المعنـوي غيـر الملفوظ) وقد أشار الدكتور تمام حسان[٤] في مقدمته لكتـاب روبرت دي بوجراند إلى أن الإحالة من وسائل السبك، وهي تؤدي إلى التحام النصي من الناحية المفهومية، كـذلك مـن الأمور المألوفة إعادة اللفظ في العبارات والجمل والتراكيـب التي تتحد دلالاتها وذلك في المرتجل مـن الكـلام. أو فـي استخدام عبارات سطحية أو أسلوب لم يدخله التنقيح أو فـي الشكل الكتابي الذي أُلِّف للوهلة الأولى، ولهذا تدخل الإحالة لتعالج هذه المشكلة حيث إنها تؤدي إلى:

أ- مبدأ الاقتصاد والثبات المعنوي؛ حيث سيظهر لنا أن استخدام الإحالة بألفاظها الكنائية التي توصـف بالاختصـار عما تحيل إليه، إنما هو من قبيل مبدأ الاختصـار والإيجـاز والتكثيف.

ب- مبدأ الدقة الدلالية، حيث يشير اللفظ الكنائي إلى ذات أو معنى أو شيئ سابق دون تكراره، إذ تكـراره يمكـن أن يؤدي إلى لبس حين يتعدد في النص الواحد اسم معـرف أو

علم أو مشترك لفظي ... إلخ فإن ذلك يمكـن يـؤدي إلـى تناقض أو غموض.

ومن هنا يمكن الهروب من رتابة الأسلوب مـع إحكـام الاتساق النصي باستخدام الوسائل المتنوعة للربط، فمرة يـتم التخالف بين العبارات بتقليبها عـن طريـق المترادفـات أو التكرار، ومرة تستخدم الإحالة، وثالثة يمكـن فيهـا تنويـع الألفاظ أو المشتقات المختلفة للدلالة على إيجاد ربط وصور جديدة في النص شكلا ومضـمونا؛ وربمـا يسـاعد أحـد العنصرين المشتقين المكررين على توضيح الآخـر وإفهـام المتلقي، وربما استخدمت في النص وسائل أخـرى للـربط، فهي كثيرة ومتنوعة غير أن الإحالة وسيلة اتساق قوية لأنها تصنع ربطا معنويا وتماسكا دلاليا ملحوظا وتسـاعد علـى تحفّز المتلقي وانتباهه للعلاقة المعنوية وإعمال ذهنـه بـين السابق واللاحق.

معنى الإحالة

يتضمن معنى الإحالة الناحيتين اللغوية والاصطلاحية كما يلي:

المعنى اللغوي :

الإحالة مصدر الفعل (أحال)، والمعنى العام لهذا الفعـل هو التغير ونقل الشىء إلى شىء آخر، ففي تاج العروس[٥] : أحال الشىء: تحول من حال إلى حال أو أحال الرجلُ: تحول من شىء إلى شىء. وفي القاموس المحيط[٦] حـال الشـىء وأحال: تحول، وفي الحديث: من أحال دخل الجنة، يريد من أسلم لأنه تحول من الكفر إلى الإسلام، ولم يبتعد هذا المعنى عما ورد في المعجم الوسيط[٧] ففيـه: أحالـت الـدار ؛ أي تغيرت، وحال الشئ أو الرجل تغير من حـال إلـى حـال، وأحاله نقل الشىء إلى غيره.

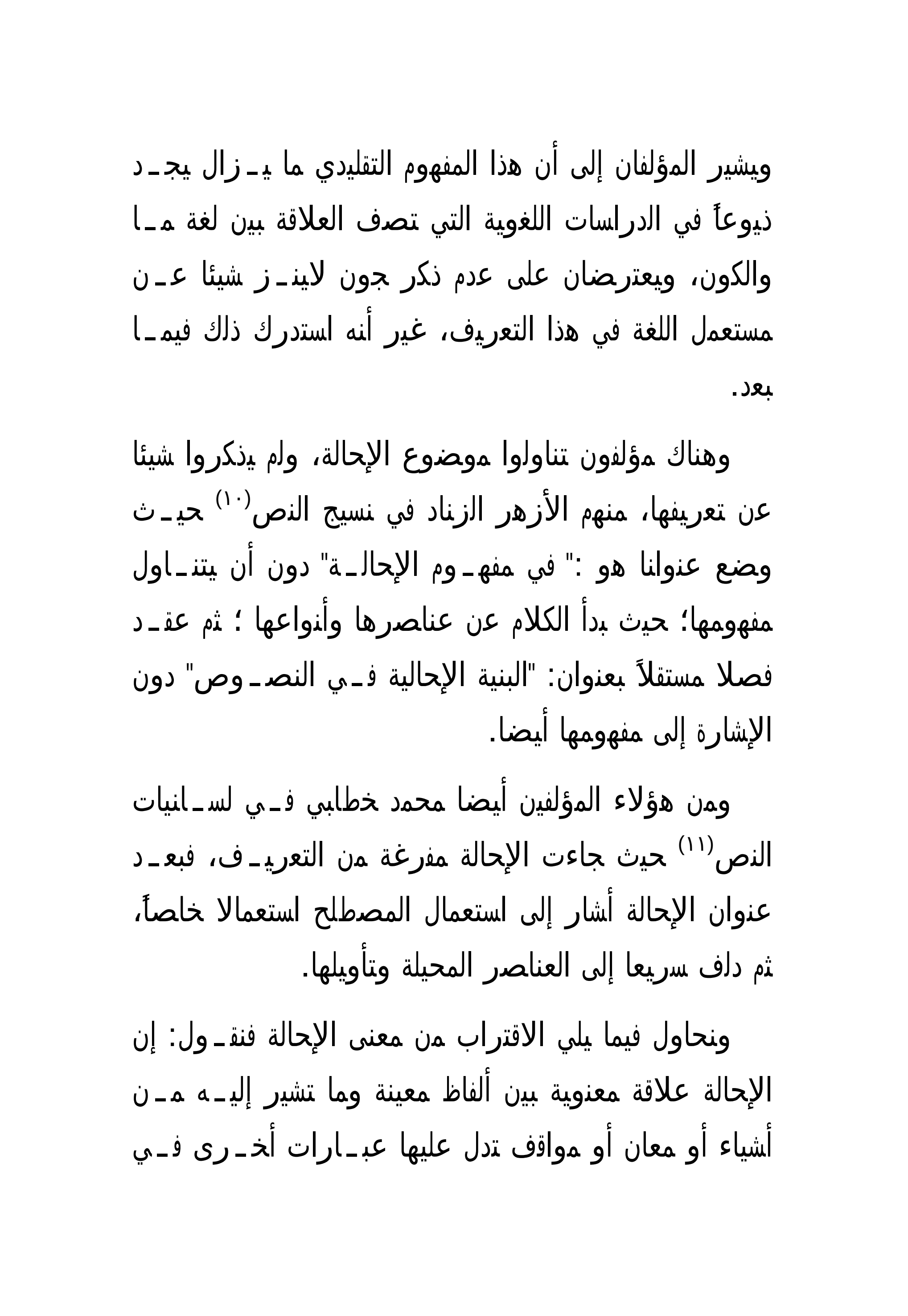
والتغير والتحول ونقل الشىء إلى غيره ليس بعيداً عـن الاستخدام الدلالي للإحالة النصية، فالتحول والتغيـر ونقـل الشىء من حالة إلى أخرى لا يتم إلا في ظل وجود علاقـة قائمة بينهما، تلك العلاقة هي التي سمحت بالتغير، كمـا أن اللفظ المحيل يحمل معنى ما يشير إليه، فهو تغير من حيـث الجهة كالعودة إلى الوراء أو الانتقال إلى الأمام مـن خـلال علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات، أو بين اللفظ وما يحيل إليه ، فإرجاع اللفظ إلى ما يشير إليه إنما هو تغير في الجهة

ونقل المتلقي بعقله من مكان إلى مكان آخر داخل الـنص أو خارجه، وربما اقتضى النقل بالنظر أيضـا حيـث يتعـرف المتلقي علـى الإحالـة ، وسـيظهر مـن خـلال المعنـى الاصطلاحي للإحالة ضرورة تجسيد العلاقة وطبيعتها.

الإحالة في الاصطلاح

لاشك أن الإحالة مصطلح قديم، لكنه بمفهوم اسـتخدامه والتوسع فيه وفي تطبيقاته في علم اللغة النصي ، إنمـا هـو مصطلح جديد من هذه الزاوية، ولهذا لم يتفق على تعريـف نهائي له، فاستحق أن نتوقف أمام مفهومه الاصطلاحي.

يشير روبرت دي بوجرانـد(٨) فـي تعريفـه للإحالـة REFERNCE قائلاً : "يتم تعريف الإحالـة عـادة بأنهـا العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقـف فـي العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات" على حـين جـاء تعريف جون لاينـز على ما أشار إليه براون ويول حيـث قالا (٩): "يقول جون لاينـز في سياق حديثه عـن المفهـوم الدلالي التقليدي للإحالة: إن العلاقة القائمـة بـين الأسـماء والمسميات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل إلى المسـميات"

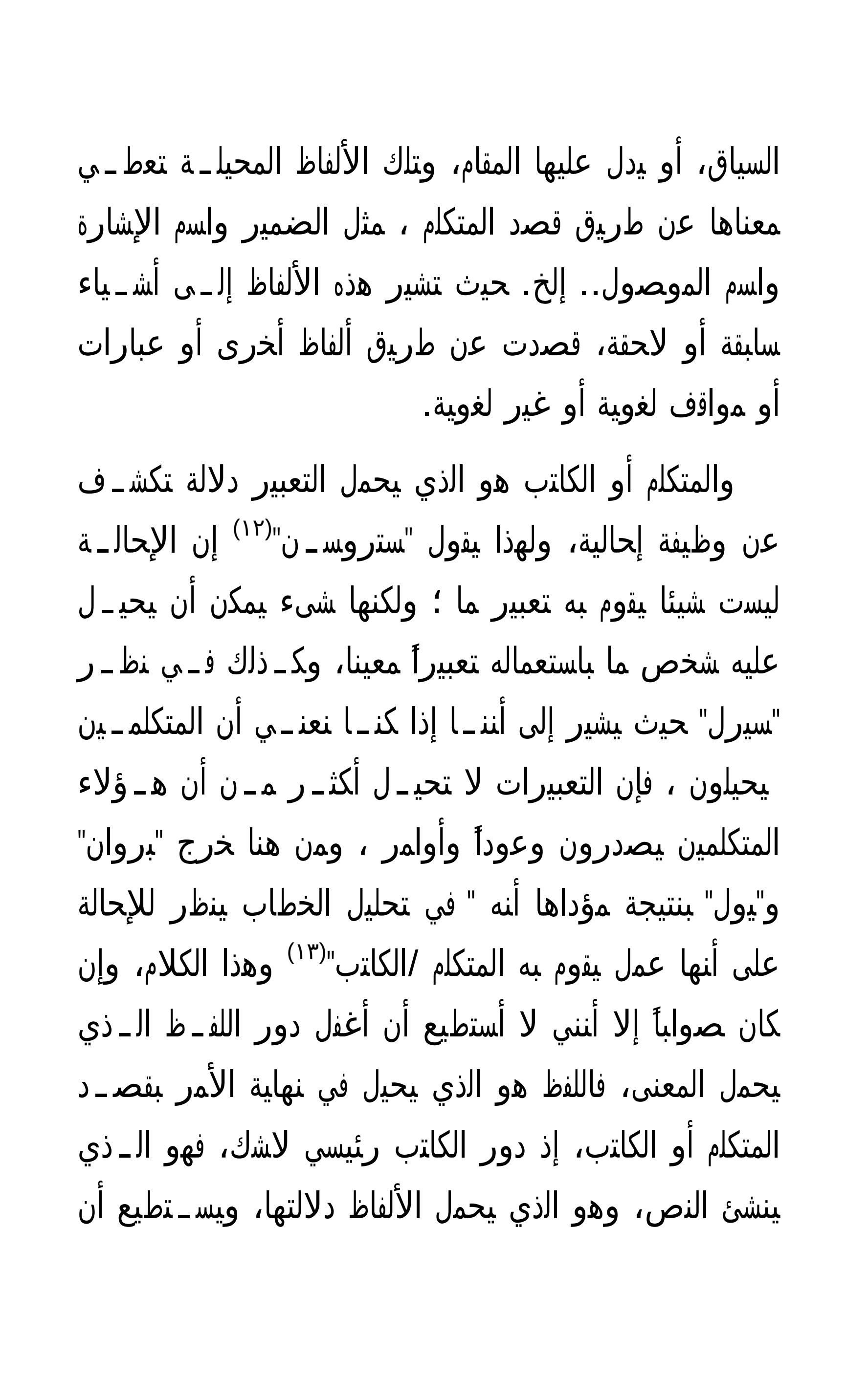


ويشير المؤلفان إلى أن هذا المفهوم التقليدي ما يـزال يجـد ذيوعاً في الدراسات اللغوية التي تصف العلاقة بين لغة مـا والكون، ويعترضان على عدم ذكر جون لاينـز شيئا عـن مستعمل اللغة في هذا التعريف، غير أنه استدرك ذلك فيمـا بعد.

وهناك مؤلفون تناولوا موضوع الإحالة، ولم يذكروا شيئا عن تعريفها، منهم الأزهر الزناد في نسيج النص[١٠] حيـث وضع عنوانا هو :" في مفهـوم الإحالـة" دون أن يتنـاول مفهومها؛ حيث بدأ الكلام عن عناصرها وأنواعها ؛ ثم عقـد فصلا مستقلاً بعنوان: "البنية الإحالية فـي النصـوص" دون الإشارة إلى مفهومها أيضا.

ومن هؤلاء المؤلفين أيضا محمد خطابي فـي لسـانيات النص[١١] حيث جاءت الإحالة مفرغة من التعريـف، فبعـد عنوان الإحالة أشار إلى استعمال المصطلح استعمالا خاصاً، ثم دلف سريعا إلى العناصر المحيلة وتأويلها.

ونحاول فيما يلي الاقتراب من معنى الإحالة فنقـول: إن الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليـه مـن أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبـارات أخـرى فـي



السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلـة تعطـي معناها عن طريق قصد المتكلم ، مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول.. إلخ. حيث تشير هذه الألفاظ إلـى أشـياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية.

والمتكلم أو الكاتب هو الذي يحمل التعبير دلالة تكشـف عن وظيفة إحالية، ولهذا يقول "ستروسـن"[١٢] إن الإحالـة ليست شيئا يقوم به تعبير ما ؛ ولكنها شىء يمكن أن يحيـل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معينا، وكـذلك فـي نظـر "سيرل" حيث يشير إلى أننـا إذا كنـا نعنـي أن المتكلمـين يحيلون ، فإن التعبيرات لا تحيـل أكثـر مـن أن هـؤلاء المتكلمين يصدرون وعوداً وأوامر ، ومن هنا خرج "براون" و"يول" بنتيجة مؤداها أنه " في تحليل الخطاب ينظر للإحالة على أنها عمل يقوم به المتكلم /الكاتب"[١٣] وهذا الكلام، وإن كان صواباً إلا أنني لا أستطيع أن أغفل دور اللفـظ الـذي يحمل المعنى، فاللفظ هو الذي يحيل في نهاية الأمر بقصـد المتكلم أو الكاتب، إذ دور الكاتب رئيسي لاشك، فهو الـذي ينشئ النص، وهو الذي يحمل الألفاظ دلالتها، ويسـتطيع أن

يخرج بها عن طبيعتها، إلا أنه في النهاية لابد أن يستخدم تلك الألفاظ الدالة على الإحالة وبدونها لن تستقيم الإحالة، ومن هنا لا نقلل من دور اللفظ الذي يحمل الإحالة، ومن الضروري أن نحكم له بأنه عنصر مهم من عناصر الإحالة التي سنشير إليها.

وفي الإحالة يشير الكاتب أو المتكلم إلى أن حدثا ما أو شيئا ما ارتبط بشىء آخر، تقدم أو سيأتي ذكره؛ لكن لن يذكره الكاتب في هذا الموقف، بل يكنى عنه بلفظ مفرغ من الدلالة المستقلة مثل الضمير أو اسم الإشارة أو الموصول، دون ذكره صراحة.

والإحالة في علم اللغة النصي هي وسيلة من وسائل الاتساق – كما أشرنا- وربط أجزاء النص وتماسكها، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص وتجسيدها، وخلق علاقات معنوية من خلال تلك العناصر الإحالية، ويتم ذلك عن طريقين:

(١) طريق مباشر، وهو القصد الدلالي إلى ما يشير إليه اللفظ مباشرة، فالعنصر المحيل – أيا كان نوعه – والمحال

إليه، لابد أن يكونا بارزين، دون حاجة إلى التأويل، ويرتبط ذلك بالإحالات داخل النص قبلية أو بعدية.

(٢) التأويل، وذلك في حالة عدم وجود المحال إليه بشكل مباشر داخل النص.

وينبغي التأكيد على أن كلتا الطريقتين تخضعان لما يلي:

أ- تجسيد علاقة دلالية بين المحيل والمحال إليه .

ب- أن تتسم تلك العلاقة بالتوافق والانسجام من خـلال اشتراك اللفظ المحيل والمحال إليه في مجموعة من العناصر تؤكد طبيعة تلك العلاقة، بعضها نحوى مثل إمكانية الإسـناد إليه، والآخر صرفي مثل: التذكير والتأنيث أو الإفراد والتثنية والجمع.. إلخ. والنص كاشف لكل هذه العلاقات.

عناصر الإحالة

تتوزع عناصر الإحالة كما يلي:

(١) المتكلم أو الكاتب صانع النص، وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد؛ حيث يشير علماء النص إلى أن الإحالة عمل إنساني[١٤].

(٢) اللفظ المحيل، وهذا العنصر الإحالي – ينبغي أن يتجسد إما ظاهراً أو مقدراً، كالضمير أو الإشارة، وهو الذي سيحولنا ويغيرنا من اتجاه إلى اتجاه خارج النص أو داخله.

(٣) المحال إليه، وهو موجود إما خارج النص أو داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات ، وتفيد معرفة الإنسان بالنص وفهمه في الوصول إلى المحال إليه.

(٤) العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه، والمفروض أن يكون التطابق مجسداً بين اللفظ المحيل والمحال إليه.

وفيما يلي تطبيق على المجموعة القصصية: "البحث عن قطعة صابون"

ففي قصة "بين فكي الأسد"[١٥] يقول الأديب أحمد الزعبي في بداية قصته: " وعندما لمحوه فجأة، كانوا ثلاثة، عنـدما لمحوه كانوا كمن يبحث عن ضالته، وفجـأة ظهـرت هـذه الضالة وجها لوجه، دهش ثلاثتهم عندما رأوا الرجل يمضي على عجل في الشارع الواسع المزدحم، دهشوا واسـتداروا ولحقوا بالرجل بسرعة ملحوظة، أدرك الرجل أنهم يقصدونه هو بالذات، وأيقن أنهم يطاردونه فأسرع فـي مشـيته، ثـم ركض وغاب في الزحام"

هكذا نجد المؤلف هو الذي قصد الإحالة في بداية الأمـر فاستخدم مجموعة من الضمائر، بدأت بضمير الجماعة فـي (لمحوه وكانوا)، وقصد المؤلف هنا الإحالة على العدد ثلاثة، وهو أقل الأعداد جمعا، والإحالة هنا إحالة بعديـة لوجـود الثلاثة بعد ذكر الضمائر، وهنا تظهر عناصر الإحالة، وهي: الكاتب المختبئ وراء النص، وهو الذي يحرك كل كلمة وكل دلالة بقصد، والضمائر المحيلة كما هو واضح، وهي ألفـاظ حملت هذا القصد وأرجعت المعنى إلى المحال إليـه، وهـو الرجال الثلاثة، وأخيراً نجد التطابق بين الضمائر المتكـررة وما تشير إليه، مع ملاحظة تكرار الضمائر وتطابقها فـي:

لمحوه – كانوا (متكررة) ثلاثتهم – رأوا، دهشوا واسـتداروا ولحقوا، إنهم يقصدونه، إنهم يطاردونه، كذلك نجد التطـابق بين الرجل المطارد وهو المحال إليه والضمائر المحيلة في: لمحوه (الهاء) يقصدونه (الهاء)، هو، يطـاردون، اسـتمر، أسرع (ضمير مستتر) ، مشيته، ركض وغـاب (الضـمير المستتر).

ويلاحظ أن الإحالة تأتي عن طريق ألفاظ واجبة الصدق، فالإحالة على شيء مفرد تكون بلفظ كمي وجودي، بوصـف المحال إليه شيئا موجوداً في عالم الواقع والحقيقة، أما الإحالة إلى مجموعة كاملة من الأشياء فإنها تكون بلفظ كمي كلّـي، حتى تكون العبارة واجبة الصدق بالنسبة لكل فرد من الأفراد المقصودين بالإحالة[١٦].

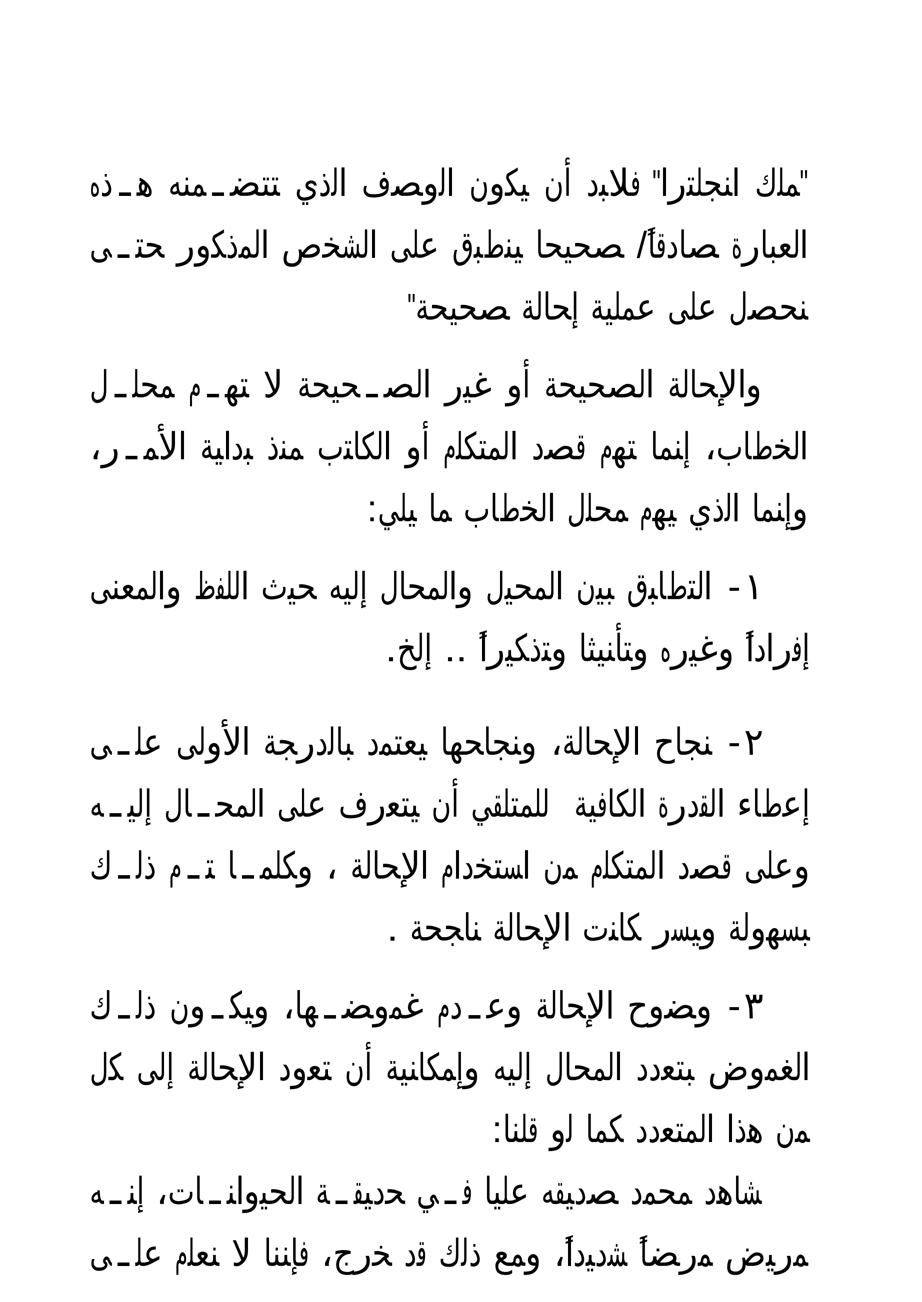
ففي نص الأديب أحمد الزعبي نجد الضمائر (هم) فـي (إنهم يقصدونه) و (إنهم يطاردونه) تشير إلى الثلاثة جميعهم وهو ضمير يصدق عليهم وذلك كما لو قيل: الجنود أحـاطوا بزميلهم الذي جرح، فهم حريصون على صحته، فالضـمير (هم) يصدق على كل فرد من الجنود، وإن كثروا، فالضمير هنا لفظ كمي كلي. وعند أحمد الزعبي أيضا نجد الهاء فـي

لمحوه تصدق على الرجل فهى لفظ كمي وجـودي لوجـود الرجل حقيقة.

وفي المجموعة القصصية نفسها يقـول الأديـب أحمـد الزعبي في قصة القنبلة(١٧): "بعد منتصف الليل بقليل.. كان قد جاءني بعد منتصف الليل بقليل، قبل عشرين دقيقـة مـن الآن، جاءني فجأة، وأنا أجلس على ضـوء خافـت حـافي القدمين.." ثم قال: " من أنت؟ وهل أنت جاد، ولم اخترتنـي أنا بالذات، وهل يعقل ما تفعله ، انتظر".

نلاحظ أن الضمير أنا المتكرر يصـدق علـى المـتكلم، وكذلك الضمير (أنت) يصدق على مخاطب موجود في عالم الحقيقة، يطلق على مثل هذه الضمائر لفظ كمـي وجـودي حيث تحيل على ذات موجودة في عالم الواقع.

لقد أشار براون ويول إلى الرأي القائـل بضـرورة أن تكون الإحالة موصوفة بالصدق والصحة فقالا(١٨): "أهل علم الدلالة الشكلانى يركزون في الغالب على أهميـة أن تكـون العبارة المستعملة للإحالة على شىء صادقة/ صـحيحة فـي وصفها لذلك الشىء؛ أي أننا لو أطلقنا على رجل ما عبـارة



"ملك انجلترا" فلابد أن يكون الوصف الذي تتضمنه هذه العبارة صادقاً/ صحيحا ينطبق على الشخص المذكور حتى نحصل على عملية إحالة صحيحة"

والإحالة الصحيحة أو غير الصحيحة لا تهم محال الخطاب، إنما تهم قصد المتكلم أو الكاتب منذ بداية الأمر، وإنما الذي يهم محال الخطاب ما يلي:

١- التطابق بين المحيل والمحال إليه حيث اللفظ والمعنى إفراداً وغيره وتأنيثا وتذكيراً .. إلخ.

٢- نجاح الإحالة، ونجاحها يعتمد بالدرجة الأولى على إعطاء القدرة الكافية للمتلقي أن يتعرف على المحال إليه وعلى قصد المتكلم من استخدام الإحالة ، وكلما تم ذلك بسهولة ويسر كانت الإحالة ناجحة .

٣- وضوح الإحالة وعدم غموضها، ويكون ذلك الغموض بتعدد المحال إليه وإمكانية أن تعود الإحالة إلى كل من هذا المتعدد كما لو قلنا:

شاهد محمد صديقه عليا في حديقة الحيوانات، إنه مريض مرضاً شديداً، ومع ذلك قد خرج، فإننا لا نعلم على

وجه الدقة من الذي يحيل إليه الضمير فـي (إنـه) لجـواز الإحالة في هذا الموضع على كل من محمد وعلى، ولا يمنع من الإحالة إلى أيهما مانع، بل يمكن للإحالة أن تكون أكثـر غموضاً إذا تعدد المحال إليه فكان ثلاثة أو أكثر كما في:

"قابل محمد صديقه عليا في منـزل صديقهما عادل، فقد اتفقوا على اللقاء من قبل ؛ إنه كان مريضا مرضا شديداً"

فالضمير في "إنه " يمكن أن يحيل إلى كل من محمـد أو على أو عادل وفي هذا الموضع تكون الإحالة أكثر غموضاً وتعقيداً.

وسائل الاتساق الإحالية:

وهي تلك الألفاظ التي نعتمد عليها لتحديد المحـال إليـه داخل النص أو خارجه، وقد أطلق عليها البعض أدوات، فقد قال براون ويول[١٩] نقلاً عن هاليدي: "هـي الأدوات التـي نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر" على حين أشار روبرت دي بوجراند[٢٠] إلى أنها "الألفاظ الكنائية" ووضع لها سمات، سوف نشـير إليهـا بعد قليل، وقد أطلق الأزهر الزنـاد[٢١] عليهـا " العناصـر

الإحالية" في اللغة وعدها من قبيـل المعوّضـات (بالكسـر) وأشار إلى أنها تأتي تعويضا عن وحدات معجميـة (أسـماء مفردة وما يضارعها من المركبات) يمكن أن نطلـق عليهـا مصطلح العنصر الإشاري، وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن.. وهو يقصد المشار إليـه أو المحيـل إليـه ويشمل:

أ- اللفظ المفرد الدال على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان.

ب- جزءاً من الملفوظ أو الملفوظ كاملاً.

على حين يقسم العناصر الإحالية إلى :

أ) الضمائر ب) أسماء الإشارة

وهنا يجب الإشارة إلى أن هذه الأدوات تجبـر المتلقـي على البحث في مكان آخر عن معناها، ومتى ما كان الشىء المحال إليه داخل النص فإن تلك الأدوات تلعب دوراً أساسيا في التماسك النصي.

وقد أقر محمد خطابي استخدام هاليدي لها بأنها " أدوات" ووضع العنوان " أدوات الاتساق" وأشار إلى أنها عناصـر

تملك خاصية الإحالة وتتوفر كل لغة طبيعية على تلك العناصر الإحالية التي قسمها هاليدي ورقية حسن في كتابهما "الاتساق" إلى ما يلي:

(أ) الضمائر (ب) أسماء الإشارة

(جـ) أدوات المقارنة

أولاً الضمائر: تنقسم إلى:

(أ) وجودية (ب) ملكية

الوجودية تنقسم إلى: ضمائر للمتكلم أو للمخاطب أو للغائب، والملكية تنقسم إلى: ضمائر للمتكلم وللمخاطب وللغائب، وهنا نلاحظ أن الضمائر وجودية أو ملكية تنقسم إلى ضمائر التكلم أو الغياب أو الخطاب، فالوجودية الدالة على ذات مثل أنا وأنت ونحن هو هم هن .. إلخ. والملكية مثل:كتابي كتابك كتابهم كتابنا.. إلخ

وسواء كانت الضمائر وجودية أو ملكية فإن الضمائر الدالة أو المحيلة إلى متكلم أو مخاطب إنما تعد من قبيل الإحالة خارج النص؛ أي أنها تحيل إلى شئ خارج النص،

كالضمير أنا، أو نحن، فإنه يصدق على ذات خارج النص، وكذلك عندما يخاطب الكاتب المتلقي فيستخدم الضمير أنت أو أنتم أو أنتن فإنه يحيل إلى مجموعة من الناس، هم أيضا خارج النص، ولهذا لا يعوّل علماء اللغة النصيون على هذه الضمائر في عملية الاتساق النصي، إنما الذي يعول عليه كثيراً هو ضمائر الغياب التي تميل – غالبا- إلى شيء داخل النص، وتكون إحالة نصية، ومن ثم تجبر المتلقي -كما أشرت - على البحث في النص عما يعود إليه الضمير، فيكون ذلك من قبيل الترابط النصي، وهذا ما يؤكد على دراسته النصيون.

الوسيلة الإحالية الثانية

هي أسماء الإشارة، وهذه الوسيلة تتساوى مع ضمائر الغياب، إذ إنها عادة تحيل إلى ما هو داخل النص، ويمكن تقسيمها باعتبارات عدة يتوسعون فيها كما يلي:

أ) تقسيم حسب الظرفية إلى:

ظرفية زمانية مثل: الآن ، غداً ، أمس .

ظرفية مكانية مثل: هنا ، هناك ، هنالك.

ب) تقسيم حسب المسافة إلى:

بعيد مثل: ذاك ، ذلك، تلك.

قريب مثل: هذا هذه.

جـ) حسب النوع إلى:

مذكر: هذا.

مؤنث: هذه.

د) حسب العدد:

مفرد: هذا، هذه.

مثنى : هذان ، هاتان.

جمع: هؤلاء .

وأدوات الإحالة الإشارية تقوم بـالربط النصـي عنـدما تستخدم في الإحالات القبلية والبعدية، ومن هنا فإنها تسـاعد على إيجاد ترابط نصي، ويلاحظ أن المفرد يتميز بما يسميه هاليدي ورقية حسن "الإحالة الموسعة" وهي إمكانية الإحالـة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل، وذلك كما لو تابعنـا نشرة للأخبار يقرأ المذيع فيها خبراً عن حادث ما بتفاصيله، ثم يقول المذيع في نهاية الأمر:

" هذا وستصدر رئاسة الجمهورية بيانا عن الموضـوع في وقت لاحق"

إن الإشارة في كلمة (هذا) تحيل إلى نص كامـل جمـل مجموعة من الأخبار وأن ما بعد هذا من دلالات إنمـا هـو ناتج عما قبلها.

أما في قوله تعالى: ﴿ هذا وإن للطاغين لشر مآب ﴾ فقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن لفظ الإشـارة (هـذا) قـد استعمل للدلالة على قطع طويلة من الخطـاب الـذي نشـط مساحة كبيرة من المعلومات نحو الإشارة إلى ما سبق فـي الآية الكريمة[٢٢].

الوسيلة الإحالية الثالثة، وهي أدوات المقارنة وتصـنع ربطا واضحاً بين السابق واللاحق، ويقصد بأدوات المقارنـة كل الألفاظ التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق كما وكيفاً أو مقارنة : وذلك يظهـر فيما يلي: مثل، مشابه، غير خلافا، علاوة على، بالإضـافة إلى، أكبر من، كبير عن، كبير مثل، ومقارنة بما، أسوة بـ، فضلا عن...إلخ.

يقول محمد خطابي عن هذه الوسيلة:"أما مـن منظـور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشـارة فـي

كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم ، مثل الأنواع المتقدمـة، لا محالة بوظيفة اتساقية " [٢٣].

الوسيلة الإحالية الرابعة :

وهي اسـم الموصـول، وقـد أضـافها روبـرت دي بوجراند[٢٤]، كما أشار إليها الأزهر الزناد[٢٥]، باعتبارها أنها من الألفاظ الإحالية التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجـزاء أخـرى مـن الخطاب، وهي أيضا تقوم على مبدأ التماثل والتطابق فيما هو موجود، يظهر ذلك جليا في ذلك القسـم المعـروف باسـم الموصول الخاص أو المختص مثل: الذي، التي ، اللـذان ، اللتان، الذين ، اللاتي... إلخ.

أما اسم الموصول العام فإنه لا يمكن أن ينطبـق عليـه فكرة التماثل والتطابق، فهو من حيث الإبهام مبهم، لكنـه لا يطابق لأنه يأتي بلفظ واحد لكل الموجودات بأنواعها مثل من و ما ... إلخ.

وتشارك الأسماء الموصولة بقية أدوات الاتساق الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة،

وكأنها جاءت تعويضا عما تحيل إليه ، وهي أيضـا تقـوم بالربط الاتساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطا مفهومياً بين ما قبل الـذي وما بعده، حيث يشير النحويون إلى أن تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقي (السامع) قبل ذكر اسم الموصول، كما لو قلنا:

جاء الذي كان معنا بالأمس.

فإنه ينبغي أن يكون المتلقي – حسب اعتقـاد المـتكلم – على علم بمن كان مع المتكلم بالأمس ، وهذا كلام يسـتحق النظر والمراجعة ولا وقت لتناوله في هذه العجالة.

وهنا أشير إلى أن كل هذه الألفاظ الكنائية تعـد وسـائل للإحالة؛ غير أن بعضها لا يسهم في اتسـاق الـنص: مثـل ضمائر المتكلم والمخاطب لأنها تحيل إلـى شـيء خـارج النص، فهي لا تعد وسيلة اتساق من هذه الناحية.

أما باقي الضمائر (الغيبـة) وأسـماء الإشـارة وأدوات المقارنة والموصول، فإن بعضها يكون مهما في صنع اتساق النص – من وجهة نظري – مثل ضمائر الغيبة التـي تعـد

الوسيلة الأقوى في الربط، يليها بعد ذلك بقية الأدوات التـي تصنع تماسكاً واتساقاً، لكن بشكل أقل من ضمائر الغياب .

وتعد الضمائر أبرز الأدوات التي يستعملها المتكلمون أو الكُتاب للإحالة على كيانات معطاة والسبب كما يشير براون ويول[٢٦] أن الضمائر تلفظ بطبقة صوتية منخفضة في اللغـة المنطوقة ؛ أي ليس لها بروز صوتي ولفظي ملحوظ، ونظراً لفراغها من محتوى . ويخرجان بنتيجة تؤكـد أن الضـمائر أصبحت الأدوات التي لا غنى لأي نظرية في الإحالة عـن تفسيرها.

وإذا كنت أوافقهما على أهمية الضمائر وأنـه لا غنـى عنها، فإنني لا أوافقهما على القول بعدم وجود بروز صوتي ولفظي ملحوظ ، فمع قصر لفظها واختصارها فإن لها وجوداً صوتيا ملحوظا والسبب في أهميتها أنها رباط قوى عن بقية الروابط في رأيى.

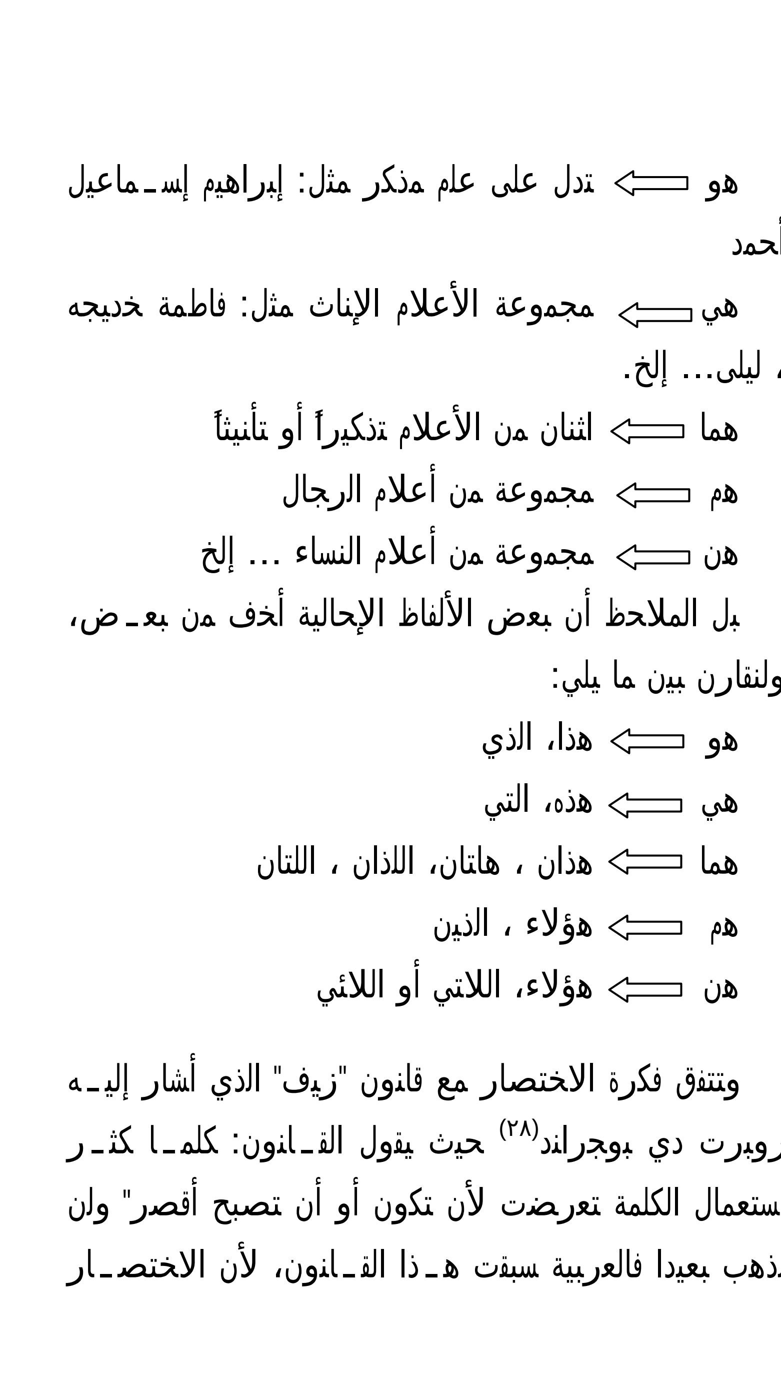
سمات الألفاظ الكنائية

هذه الألفاظ الكنائية التي تستخدم للإحالة لها سمات يمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: أنها خالية من الدلالة ، فلا تحتوى على شئ بذاتها، وإنما بما تشير إليه، وتحيل إليه من صفة أو ذات أو شـىء مفرد أو أشياء متعددة ومتنوعة، وعلى هذا فهي مفرغة مـن الدلالة ، ، أو أنها غير ذات معنى، مالم يتعين ما تشير إليه، فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقـام الصـفر، وهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء، وتتخذ محتوى ما تشـير إليه(٢٧) وهي ضرورية أيضا في صنع ذلك الاتساق المعنوي.

ثانيا: يتسع مداها عند التطبيق، فتارة يحيل اللفظ الكنائي إلى شىء سابق، وأخرى يحيل إلى شىء لاحق، وتارة يحيل إلى ما هو قريب، وأخرى يحيل إلى ما هو بعيد، وتارة يحيل إلى معنى، وأخرى يحيل إلى ذات ، وتارة يحيل إلى جملـة، وأخرى يحيل إلى مجموعة من الجمل... إلخ.

ثالثا: اللفظ الكنائي أقصر غالبا، مما يدل عليـه أو ممـا يحيل إليه من الألفاظ ، فالمتأمل يلاحظ قصر الألفاظ الكنائية بشكل واضح عما يشير إليه من الألفاظ في الإحالة، ولنقارن بين الضمائر وما يمكن أن تحيل إليه



هو ⇐ تدل على علم مذكر مثل: إبراهيم إسـماعيل أحمد

هي ⇐ مجموعة الأعلام الإناث مثل: فاطمة خديجه ، ليلى... إلخ.

هما ⇐ اثنان من الأعلام تذكيراً أو تأنيثاً

هم ⇐ مجموعة من أعلام الرجال

هن ⇐ مجموعة من أعلام النساء ... إلخ

بل الملاحظ أن بعض الألفاظ الإحالية أخف من بعـض، ولنقارن بين ما يلي:

هو ⇐ هذا، الذي

هي ⇐ هذه، التي

هما ⇐ هذان ، هاتان، اللذان ، اللتان

هم ⇐ هؤلاء ، الذين

هن ⇐ هؤلاء، اللاتي أو اللائي

وتتفق فكرة الاختصار مع قانون "زيف" الذي أشار إليـه روبرت دي بوجراند[٢٨] حيث يقول القـانون: كلمـا كثـر استعمال الكلمة تعرضت لأن تكون أو أن تصبح أقصر" ولن نذهب بعيدا فالعربية سبقت هـذا القـانون، لأن الاختصـار

مذهب مهم من مذاهب العربية، ولهذا قال السـيوطي[٢٩] إن الاختصار " هو جلّ مقصود العـرب وعليـه مبنـى أكثـر كلامهم" وقد تحدث عن الضمائر قائلاً: " هي أخصـر مـن الظواهر" حيث وقع عنصر لغوي محل عنصر لغوي آخـر بحيث يتضمن الأول معنى الثاني مع اختلافه عنه فـي قلـة عدد حروفه [٣٠].

رابعاً: لابد من إخضاع هـذه الألفـاظ لمجموعـة مـن الضوابط عند استخدامها، حتى لا تتحول دلالتها إلى إشكالية لا فائدة من ورائها غير الغموض، وقد تناولت في جزء مـن هذا البحث الغموض، وهو موضوع يسـتحق التفصـيل ولا وقت له، فعندما تتعدد المرجعيات التي يمكن أن يحال إليهـا بلفظ واحد فإن ذلك يمثل إشكالية، وأيضا لابد من الوضوح.

خامساً: لابد من الإشارة هنا إلى كفاءة الألفاظ الكنائيـة، حيث يشير روبرت دي بوجراند إلى أن تلك الكفاءة تظهـر حين تستعمل تلك الألفاظ للدلالة على قطع طويلة من الخطاب الذي ينشط مساحات كبيرة من المعلومات، وقد مثّـل لـذلك المترجم بقول ا تعالى : " هذا وإن للطاغين لشـر مـآب"

حيث إن الإشارة إلى ما سبق تستوعب جـزءاً كبيـراً مـن الخطاب. وقد أشرت إلى ذلك من قبل.

سادسـاً: يمكن أن يعطي اللفظ الكنائي معطى جديداً ليس في النص ، فالمتكلم بإمكانه صياغة نصه بشـكل يمكـن أن يقدم فيه معلومات جديدة تفهم من طريقة الإحالة، وفي هـذه الحالة يكون المتلقي مضطراً لإضافة هذه المعلومات الجديدة إلى ذهنه لتسوية الدلالة بين اللفظ المحيـل والمحـال إليـه. يظهر ذلك في قصة "بعد الأوان" [٣١] حيث يقـول الأديـب إبراهيم سعفان :

"مسافرة أنت في دمي ، كلمة من نور زلزلـت قلبـي ، فانشطر نصفين، فأخرج أثقاله المدفونة مع السنين المشـتعلة شيبا، وحيداً عشت مع ابني الأمل الذي لم يأت من فتاة همتُ بها ورفضتني فرفضتهن جميعا.."

إن الضمير في "رفضتهن جميعا" يحيل إلى مجموعة من الفتيات لم يظهرن ولم يتكلم عليهن في النص، بل نفهم مـن السياق أنه حينما رفضته الفتاة قابل ذلك برفض بنات جنسها رداً على ذلك الرفض ويؤكد ذلك كلمة (جميعا) التي تـوحي بالكثرة التي لم يشر إليها الـنص صـراحة، والملاحـظ أن

المحال إليه يختفي خلف النص ، لكن المتأمل للنص يستطيع أن يلمحه .

المتلقي وتحديد مرجع الإحالة

يسهل – في بعض الأحيان – على المتلقي تحديد مرجع الإحالة والوصول إلى المحال إليه أو المشار إليه دون إجهاد ذهني، وفي أحيان أخرى يصعب عليه التحديد لاعتبارات تظهر فيما يلي:

(١) وجود مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يحيل إليه ذلك اللفظ من مدلولات أو ذوات... إلخ.

(٢) وجود أكثر من مرجع أو إمكانية تصور ذلك، فلو سبقت ذوات كثيرة أو دلالات متنوعة يمكن أن يحيل إليها لفظ ما، وليس هناك دليل أو قرينة تعين المتلقي على التحديد، فإن ذلك سيزيد من صعوبة الطريق أمام المتلقي لتحديد مرجع الإحالة.

(٣) إذا كان هناك غموض فيما يصدق عليه اللفظ الكنائي من حيث العدد أو النوع.. إلخ، أو أي شيء آخر.

(٤) صعوبة التحديد من خلال ضعف المتلقي المعرفي أو الثقافي للموضوع الذي يتحدث فيه المتكلم ، وربما كـان لهذا السبب أثر كبير في وجود نظرية التلقي الأدبية، حيـث تترك مساحة كبيرة للمتلقي في عملية فهم الـنص، فثقافـة المتلقي ومعرفته تندمج وتتشارك وتنصـهر مـع الـدلالات الصادرة من النص، ولهذا يحدث نوع من الانسـجام لـو أن لدى المتلقي معرفة بالتصور الذي يوحيه النص أو يشير إليه صراحة. ولهذا "فإن البشر يفهمون ما يقال لهم على ضـوء معرفتهم ومعتقداتهم عن العالم"(٣٢) . ولكننا لا نستطيع القول بأن تصور المتلقي يتطابق تماماً مع تصور المتكلم لإمكانيـة اختلاف الثقافة والمعرفة في الموضـوع المطـروح، تلـك المساحة الغامضة أو غير المعروفة بين المتلقـي والمـتكلم يمكن أن تخلق صعوبة في فهم الإحالة .

لكن الملاحظ دائما أن المتحدث يريد من المتلقي أن يكون سريعا ودقيقا في فهم الإحالة، وأن يحيل اللفظ الكنائي إلـى مرجعه بفطنة وذكاء، وأن يتم ذلك بوضوح يعادل الوضـوح المتجسد في ذهن المتحدث .

(٥) يزيد الأمر صعوبة إذا كانت الإحالة خارج النص، فإن ذلك يتطلب من المتلقي أن يتوقف كثيراً أمام النص ليفهم ما يصدق عليه اللفظ الكنائي، ويكون ذلك مرتبطا بالمقـام أو السياق.

(٦) في الإحالة البعدية يكون الأمر في البداية غامضا، فالمتلقي لا يعرف ما الذي يشير إليه الضمير؟

ربما يظهر المشار إليه في أجزاء النص القريبة القادمـة من خلال الوصف أو التصريح، وربما لا يظهر. ففي قصـة (تمرد)[٣٣] يقول الأديب إبراهيم سعفان في بداية القصة:

"داعبتها .. فاستكانت... تشجعتُ .. مددت يدي في حذر أمسح شعرها الناعم.. ارتخت عضلاتها"

إلى هنا يظل الأمر غامضاً فـي تحديـد المشـار إليـه بضمائر الغياب البارزة في الكلمـات" داعبتهـا – شـعرها، عضلاتها" وكذلك الضمير المستتر في الكلمة: استكانت.

ربما كان المشار إليه امرأة، وربما كان حيوانا أليفا؛ قطة مثلا أو أنثى من الكلاب.. إلخ، حتى بعد أن يقول: استسلمت أظافرها الشرسة لم يتأكد هل هي قطة أم امرأة؛ لأن وصف الأظافر بالشراسة ليس دليلا يستمر حتى آخر القصـة فـي

حوار يمكن معه الاحتمالان كما في مثل: فصـورتها معلقـة على الحائط، قفزت في لمح البصر بعيـداً عنـي، احتمـت بالحائط، غير أن قوله: زامت، هبشت يدي، يمكن أن يقـرب المحال إليه إلى حد ما .

وهذا أيضا ما نقوله : في قصة " لليل قلب"[٣٤] عندما بدأ إبراهيم سعفان قوله : " أجلسها على ركبتيه" ؛ حيث لم يحدد من الجالسة أو ما الجالسة؟.

بل إنه في بعض الأحيان لا يتحدد المشار إليه اسـما ولا وصفا.. إلخ، وذلك ما نجده في قصة :" القنبلـة"[٣٥] حيـث تعود الضمائر المتوالية على شخص مذكر لا نعرف طفلا أو شاباً أو رجلا عجوزاً ، فقط نفاجأ في آخر القصة بإمكانية أن يكون رجلا حيث قال أحمد الزعبي في نهاية القصـة: قـال شاهد عيان: إنه في صبيحة اليوم التالي رأى رجـلا يحمـل قنبلة ويتجول في شوارع المدينة" ولا ندري هل هـو نفـس الشخص المراد الذي بدأت القصة بالإشارة إليه فـي قولـه: (جاءني فجأة) أم أن هناك شخصاً آخر أخذ القنبلة مـن أول الأمر وسار بها. وربما حرص الكاتب على غموض الإحالة وترك الموقف لفطنة المتلقي.

ومن النماذج التي تحتاج إلى ثقافة لمعرفة المشـار إليـه المثال التالي:

في مكتبتي بالمنـزل وضعت سيبويه في مكان واضح . إنه مفيد للباحثين.

إن الضمير في إنه لا يعود على سيبويه، إنما يعود على ما يفهم من كلمة سيبويه، وهو كتابه الشهير، إذ لا يعقـل أن يكون سيبويه هو الموضوع في مكتبتي، وبقليل من المعرفـة يتأكد لنا ذلك، . أما الإحالة إلى الأعلام بشكل مباشر، فإنهـا تيسر فهم الإحالة دائما، بحيث يمكـن الاسـتبدال[٣٦] وممـا يساعد المتلقي على معرفة مرجع اللفـظ الكنـائي وتحديـد المشار إليه توظيف معرفته بما يلي:

(١) فهم النص فهما صحيحا وعدم ترك أجـزاء منـه دون استيعابها جيداً.

(٢) تحديد الصيغ الاسمية السابقة التي تدل على أفـراد أو جمادات أو أماكن أو مدن... إلخ.

(٣) تحديد الصيغ الإسنادية السابقة، ومراعاة المعنى العام الذي تولده العبارة؛ حيث يستطيع المتلقي التقاطه من السياق. فلو قلنا: "اغتال الإرهاب رفيق الحريري اليوم. إنها الحقيقة".

فالضمير في (إنها) يحيل إلى اغتيال رفيق الحريري، ونفهـم هذه الإحالة من طبيعة الإسناد.

(٤) مراعاة إمكانية أن يكون هناك معطي جديد لم يظهر في سابق الكلام، بل يتضح من المعنى، وقد سـبق التمثيـل بقول إبراهيم سعفان: "فرفضـتهن جميعـا" دون أن يـذكر مجموعة النساء أو يشير إليهن من قبل .

(٥) مراعاة المقام أو المواقف في الإحالة خارج الـنص، ومحاولة ربط النص بالموقف اللغوي أو السياق أو المقام.

وكلما نجح المتلقي في تحديد الإحالة كـان أقـرب إلـى الربط النصي والاتساق.

الإحالة بين النص وخارجه

إذا كانت الإحالة وسيلة من وسائل الاتساق النصي فإنـه كان من المفترض أن يقتصر وجودها على الـنص فقـط ، حيث إنها تشير إلى شيئ مجدول في ثنايا النص، ينتمي إليه ، ويكون جزءا من عالمه، سواء كان قبل الإحالة أم بعدها ، حتى يتم صنع هذا التماسك، حيث تشير الإحالة إلى " معلومة مسلمة" لدى المتكلم، ينقلها للمتلقي عن طريق الإحالة. غيـر

أننا في بعض الأحيان نجد أن الإحالة لا تصدق على شـىء داخل النص، بل تمتد إلى شىء خارج النص، مما يدل على وجود علاقات متشابكة ومتفاعلـة بـين اللغـة والمواقـف الاجتماعية والثقافية العامة، بل بينها وبين الخطـاب بشـكل عام. لأن الإحالة تقوم على مبدأ التفاعل بين المتلقي والنص والمواقف العامة الخارجة عن النص، وبدون هـذا التفاعـل يصير الانتفاع بقراءة النص شيئا غير مؤكد، أو ربما غيـر موجود، وذلك لأن الأعراف والمواقف الاجتماعيـة تنطبـق على المفهوم العام للنصوص، ومن هنا كان ارتبـاط نحـو النص بالمواقف الاجتماعية من خلال نصوص لا جمل، لأن الوعي الاجتماعي – كما يقول روبرت دي بوجرانـد- [٣٧] ينطبق على الوقائع ؛ لا على أنظمة القواعد النحوية" . وفيما يلي نبين أنواع الإحالة من حيث ارتباطها بالنص أم لا.

تنقسم الإحالة كما أشار علماء اللغة النصيون إلى:

أولا : إحالة داخلية ؛ أي داخل النص أو داخل اللغة.

وينقسم هذا النوع الداخلي بدوره إلى قسمين:

أ- إحالة قبلية، أي إحالة على السابق (إلى الوراء).

ب- إحالة بعدية، أي إحالة على اللاحق (إلى الأمام).

ثانيا: إحالة خارجية؛ أي خارج النص أو خارج اللغـة، وهي إحالة على غير مذكور ،أو إحالة مقامية وهما شـيئان خارج النص.

ثالثـا: يمكن أن نضيف نوعاً ثالثا يطلق عليـه الإحالـة البينية، وهي الإحالة التي لا توجد خارج الـنص أو داخلـه بشكل مباشر، بل يمكن أن تأتي عن طريق الإيحاء، وهي ما أطلق عليه "المعطي الجديد" حيث لم يذكر صراحة في النص المحال إليه، بل يفهم من سياق الحوار، والدليل على وجـوده يكون داخل النص؛ غير أنه لم يذكر صـراحة ، فـلا هـي مذكورة داخل النص ولا هي مفهومة من الموقف وحده.

أما الإحالة الداخلية (داخل النص) فهي الأصل، وهـي الأكثر وروداً في النصوص وعند المحدثين.

ونوعها الأول هو **الإحالة القبلية**، وهي الأكثر استخداما ؛ أي أن الشىء الذي تصدق عليه الإحالة ويكون مقصـوداً عند إطلاق اللفظ الكنائي، إنما يأتي متقدما على اللفظ الكنائي نفسه، ويشير إلى هذه الحالة روبرت دي بوجراند[٣٨] بقوله :

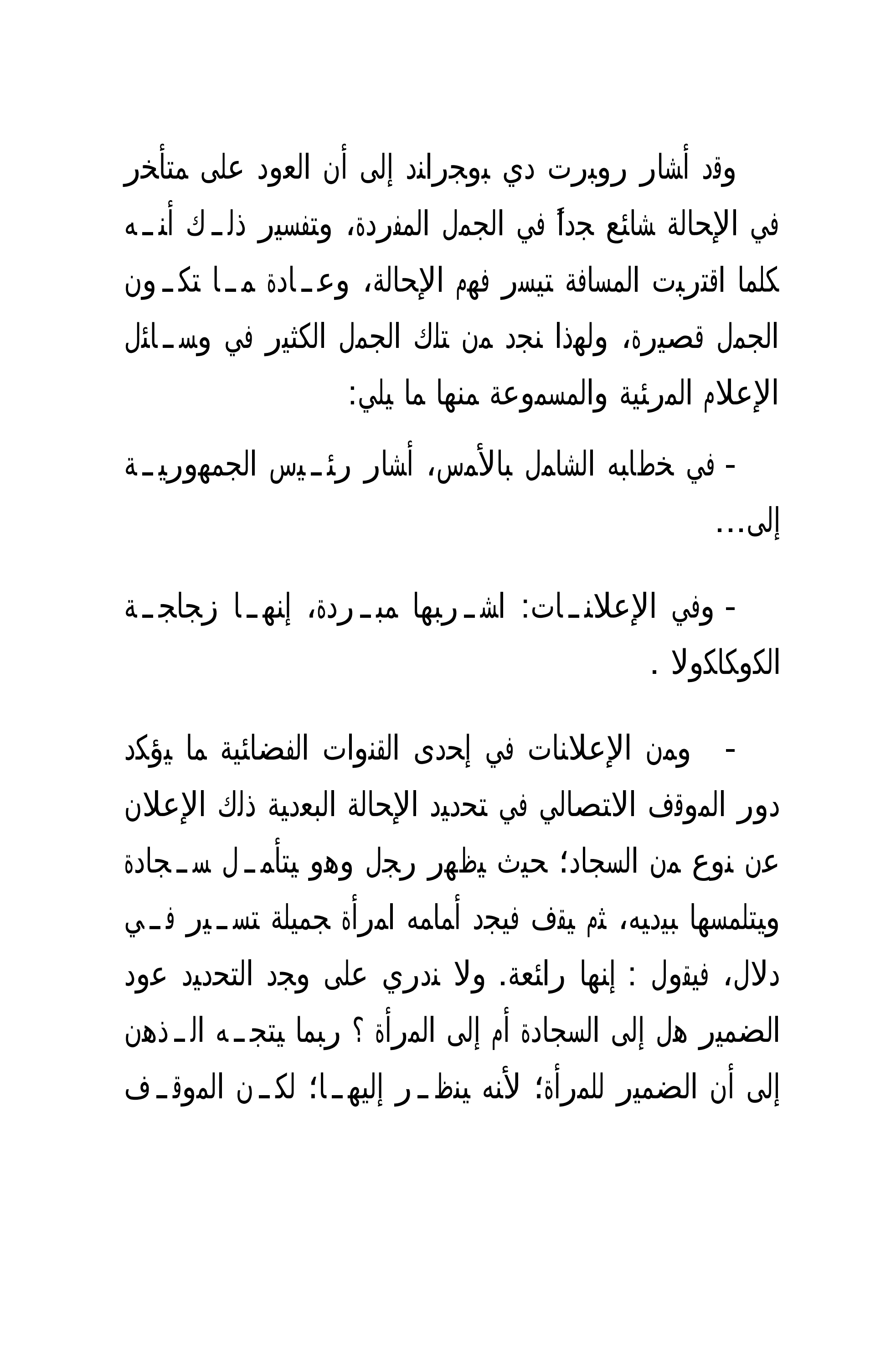
"وتأخر الألفاظ الكنائية عن مراجعها، أي ورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكثر احتمالاً من ورودها متقدمـة عليها، فرجوع اللفظ الكنائي إلى متقدم عليه يهيـئ مركـز ضبط أن تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الكنائي"، فالمتلقي يتمكن مباشرة من إعادة اللفظ الكنائي إلى المراد منه مباشرة دون مجهود .

والإحالة في هذه الحالة تقتضي العودة إلى الوراء؛ لتحديد مرجع الإحالة حيث ذكر المحال إليه، وفي هذا نـوع مـن الربط القبلي بين أجزاء النص.

أما في الإحالة البعدية، وهي إحالةعلى اللاحق الذي لـم يذكر بعد، فإنما هي مثيرة لذهن المتلقي حيث يوجـد لفـظ كنائي ولم يسبق مرجعه، والمفترض أن يظل المتلقي يقظـا باحثا عن مرجع الضمير وعندئذ كمـا يقـول روبـرت دي بوجراند[٣٩] "يتحتم للفظ الكنائي أن يركم (يظل جانبا بـدون تحديد) حتى تأتي العبارة المشاركة له في الإحالة ، أو يترك بحسبانه حالة نحوية تظل لا مرجع لها في تحليـل مهـوش حتى يعثر لها في النهاية على مرجع" وهذه الإحالة أقل مـن سابقتها استخداماً وشيوعاً، وبتأمل هذا النوع من الإحالة نرى

أنها سلاح ذو حدين فهي إما أن تجعـل المتلقـي متحفـزاً متشوقاً إلى مرجع هذا اللفظ الكنائي ومفسره فيظل دائما في يقظة لصنع هذا الربط، وإما أن تقلل من دقة متابعته فيظـل المعنى مشوشاً حتى يجد المرجع، فإذا وجـد المرجـع فقـد يحتاج إلى قراءة النص مرة أخرى للبحث عن ترابط واتساق بين أجزاء النص ، وربما صعب عليه ذلك إذا كان مسـتمعا لحوار ربما يكون قد انتهى . وهذا يجعل أمر الإحالة البعدية عسيراً أحيانا وربما كان هذا سببا في قلة استخدامها.

ومن هنا يشير علماء اللغة النصيون بضرورة ألا نتـرك مسافة كبيرة بين اللفظ المحيل والمحال إليه فـي الإحـالتين (القبلية والبعدية) إذ يمكن أن يسبب ذلك إرهاقا للمتلقي بـدلا من سهولة الربط والاتساق. "فمن الصعب أن نحـافظ علـى الترابط بين عناصر إما متباعدة وإما غير مؤكـدة الهويـة بسبب بدائل الهويات المرشحة لها"[٤٠] . وربمـا أدى بعـد المسافة إلى غموضها لوجود أكثر من شيء يمكن أن يكـون مرجعا سابقا أو لاحقا مما يزيد الأمر صعوبة . لهـذا كـان قرب المسافة عاملا إيجابيا في الإحالة حيث تمتنع الإحالات المشتركة فيسهل التحديد الدلالي.



وقد أشار روبرت دي بوجراند إلى أن العود على متأخر في الإحالة شائع جداً في الجمل المفردة، وتفسير ذلـك أنـه كلما اقتربت المسافة تيسر فهم الإحالة، وعـادة مـا تكـون الجمل قصيرة، ولهذا نجد من تلك الجمل الكثير في وسـائل الإعلام المرئية والمسموعة منها ما يلي:

- في خطابه الشامل بالأمس، أشار رئـيس الجمهوريـة إلى...

- وفي الإعلانـات: اشـربها مبـردة، إنهـا زجاجـة الكوكاكولا .

- ومن الإعلانات في إحدى القنوات الفضائية ما يؤكد دور الموقف الاتصالي في تحديد الإحالة البعدية ذلك الإعلان عن نوع من السجاد؛ حيث يظهر رجل وهو يتأمـل سـجادة ويتلمسها بيديه، ثم يقف فيجد أمامه امرأة جميلة تسـير فـي دلال، فيقول : إنها رائعة. ولا ندري على وجد التحديد عود الضمير هل إلى السجادة أم إلى المرأة ؟ ربما يتجـه الـذهن إلى أن الضمير للمرأة؛ لأنه ينظـر إليهـا؛ لكـن الموقـف

الاتصالي يؤكد أن المقصود هي السجادة؛ حيث تنظر المرأة إلى السجادة ؛ فتقول: نعم إنها سجادة رائعة .

- ومن النماذج التطبيقية للإحالة النصية القبليـة قصـة الأديب أحمد الزعبي (ندم)[٤١] حيث يقول:"ارتد جبلـة عـن الإسلام بعد أن حكم للأعرابي أن يصفعه " فالضمير المستتر في (يصفعه) يعود على الأعرابـي وهـو سـابق عليـه ؛ والضمير البارز في (يصفعه) يعود على جبلة وهو أيضـا سابق عليه.

وفي قصة (شمس النهار)[٤٢] للأديب إبـراهيم سـعفان يقول: لو لاقت شهر زاد ما لقيته في زماني هذا من جـراء بوحي بما أعرف لسكتت عن الكلام المباح"

فالضميران البارزان في (لقيته) والمستتر في (سـكتت) يعودان على شهر زاد، وشهر زاد سابقة عليهما.

أما مثال الإحالة البعدية (على اللاحق) فنموذجهـا فـي بداية قصته (بين فكي الأسد)[٤٣] يقول الأديب أحمد الزعبـي ".. وعندما لمحوه فجأة كانوا ثلاثة " فنحن لدينا ضميران في

(لمحوه) يعودان على متأخر وهما واو الجماعة التي ظهـر مرجعها في قوله ثلاثة، وقد ظهر المرجع بعد مسافة قصيرة، أما الهاء فقد ظهر مرجعها بعد ثلاثة أسـطر عنـدما قـال المؤلف "رأوا الرجل" فاتضح أن الهاء تعود علـى الرجـل. وهذا أيضا ما نجده في قصته " لليل قلب"[(٤٤)] حيـث يقـول الأديب إبراهيم سعفان: "أجلسها على ركبتيه، أخـذ يحادثهـا بدل وحنان" إن الضمير في (يحادثها) لا يعرف مرجعـه إلا في نهاية القصة التي استمرت صفحة ونصف الصفحة حـين قال: "والعروسة اللعبة بين يديه تنظر إليه في بلاهة" حيـث ترك للمتلقي إمكانية أن يكون مرجع الضمير امرأة جميلـة ؛ لكنه فاجأ القارئ بأن الضمير الغائب يعود إلى تلك العروسة.

ومن خلال الإحصاء العددي لقصص المجموعتين نجـد عند الأديب أحمد الزعبي أن مجموعته "**البحث عن قطعـة صابون**" تشمل ثلاث عشرة قصة، منها إحدى عشرة قصـة تضمنت كلها إحالات قبلية، واثنتان فقط بدأتا بإحالة بعديـة، كذلك نجد عند الأديب إبراهيم سعفان في مجموعته "قبـل أن تنطفئ النار" أنها احتوت على تسع وعشرين قصة، منها تسع عشرة قصة تضمنت كلها إحالات قبلية، وواحدة فقط بـدأت

بإحالة بعدية، وتسع احتوت على إحالات خارجيـة (خـارج النص)، وهنا يظهر شيوع الإحالة القبلية بشكل ملحوظ عـن الإحالة البعدية.

أما الإحالة خارج النص أو خارج اللغـة؛ فهـي إحالـة مقامية تعتمد على سياق الموقف وتعني "إحالة عنصر لغوى إحالي على عنصر إشاري (شىء) غير لغوي موجـود فـي المقام الخارجي"[٤٥] وهي إحالة إلى غير مذكور في الـنص ويمكن إرجاعها إلى أمور مستنبطة من السياق أو الموقـف، لا من عبارات يمكن أن تشاركها الدلالة في الـنص نفسـه، وعلى المتلقي أن يبحث عن المرجع من خـلال السـياق أو المقام، وهنا لابد من التأكيد على موافقة العنصر الإحالي مع ما يحيل إليه، فالاتفاق بينهما جزء أساسي في عملية الـربط عن طريق الإحالة.، ولهذا نقف بحذر أمام ما قالـه هاليـدي ورقية حسن، حيث ذكرا "أن عدداً من الإحالات لغير مذكور في الاستعمال المقبول تستعمل فيها الكنائيات استعمالا عرفيا دون أن ترتبط بمحتوى مفهومي معين"[٤٦] .

إذ لابد أن يوجد تفاعل بين المتلقي والنص مـن خـلال إعادة اللفظ المحيل إلى ما يحيل إليه وربطه بـذلك الموقـف

الخارجي ذلك الموقف الذي يحتاجه المتلقي لتأكيد الاستمرار الحقيقي مع النص.

ويمكن أن يتحمل النص بعض التفصيلات التي تساعد المتلقي على تحديد المرجع غير المذكور كأوصاف رجل، أو تفصيلات عن حيوان ما، أو مجموعة من الناس.. إلخ . غير أنه من المؤكد أن المتلقي عليه أن يتأمل الموقف خارج النص ليحدد مرجعه.

ومثال تلك الإحالة عند الأديب إبراهيم سعفان ما ورد في قصته " قبل أن تنطفئ النار" وهي القصة التي حملت عنوان مجموعته عندما بدأها بقوله: "قابلتها صدفة في حفل عام ، لم أستطع أن أنساها.. " ففي تلك القصة القصيرة، وعدد سطورها ثمانية عشر سطراً، تكررت الإحالة بالضمير إلى تلك الفتاة التي لم تذكر في النص مطلقا أربعا وعشرين مرة ، منها ثماني عشرة مرة جاء الضمير ظاهراً، وست مرات جاء الضمير مستتراً، والذي ساعد على تحديد مرجع الضمائر سياق الموقف الذي يحكي عنه الكاتب، علاوة على بعض الأوصاف مثل: انسلت في خفة ودلال مع بعض صاحباتها، أطل وجهها الصبوح، ... إلخ.

والملاحظ أن ضميري المتكلم والمخاطب لا يحيلان إلى مذكور سابق، أو لاحق، إنهما يحيلان إلـى خـارج الـنص دائما، فالضميران أنا ونحن يحيلان إلى متكلم أو متكلمـين، والجميع خارج النص، وكذلك ضمائر الخطاب أنت، أنتم ... إلخ. تحيل إلى خارج النص دائما. غير أنها جميعها لا تصنع ترابطاً، إذ هي تحيل دائما إلى شيء غير نصـي؛ ولهـذا لا تسهم في عملية الترابط النصي.

وتتفق مع هذه الضمائر ضمائر الملكية في حالتي الـتكلم والخطاب كما في حقيبتي وحقيبتك ، حيث إنها تحيل إلى ما هو خارج النص .

وفي العربية ضمير يطلق عليه ضمير الشأن أو القصـة حيث لا يذكر له مرجع، ولا يتحدد من السياق، وفي بعـض الأحيان يطلق ضمير الغياب علـى مجموعـة دون تحديـد واضح لمرجع الضمير، مثل قولنا تعليقاعند سماع نبأ اغتيال أحد الأشخاص المحبوبين:

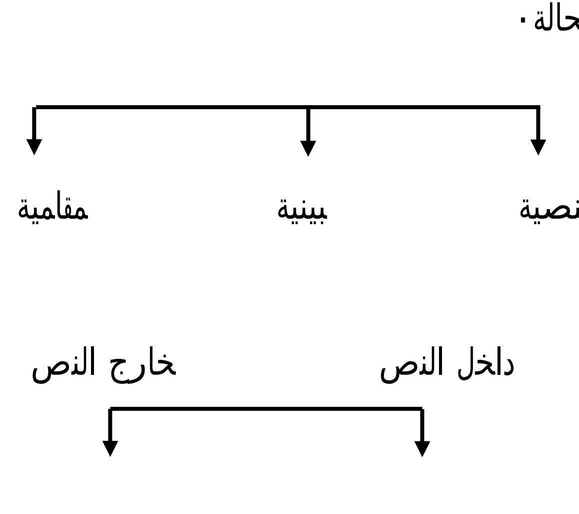
قتلوه، انتقم ا منهم

إن الضمير في (قتلوه ومنهم) يعود علـى شـئ غيـر مذكور ، ونحن بين أمرين، إما أن المتكلم يعلم القـاتلين ولا يريد الافصاح عنهم ، إبهاما أو خوفاً، أو أنه لا يعلـم بهـم أصلاً، وهنا يمكن معرفتهم فيما بعد أو لا يمكـن. لا نعلـم، وباختصار كما يقول د. تمام حسان[٤٧] يمكن للإحالة علـى غير مذكور أن تطبق على كل مـا يتضـح مـن الموقـف الاتصالي، كما في قوله تعالى : " فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه (أي القرآن الكريم) لقول رسول كـريم (أي جبريل) وما هو (أي القرآن نفسه) بقول شـاعر قلـيلا مـا تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنـزيل مـن رب العالمين. ولو تقول (أي محمد عليه الصلاة والسلام) علينـا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين".

وبناء على ما سبق لا يمكن أن تتساوى الإحالة النصـية الداخلية مع الإحالة المقامية لغير مذكور، ولا يمكن أن تلغي جميع الفروق بينها في عملية الربط، ومن هنا لسنا مع مـن ذهب إلى أن الإحالة المقامية لا تسهم في خلق النص، حيـث إن هذه الإحالة تساهم في خلق النص لكونهـا تـربط اللغـة بسياق المقام[٤٨]. إلا أنها لا تسهم بشكل مباشر فـي عمليـة

الربط، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في خلق النص واتساقه، وأيضا نستطيع أن نفرق بين بعض هذه الأدوات الإحالية ، حيث أشرنا إلى قوة الربط بضمير الغائب عن غيره من الأدوات.

ويمكن تصور نوع الإحالة من خلال الجدول التالي:



قبلية بعدية

على السابق على اللاحق

أما النوع الثالث وما يتصل بالإحالة البينية؛ حيث يكـون هناك (معطي جديد) لا يفهم من خلال السياق وحده أو النص وحده، بل يتضافر كل من النص والسياق على خلقـه، وقـد أوردنا مثال " المعطي الجديد" حيث ورد فـي قصـة (بعـد الأوان) لإبراهيم سعفان قوله: "مسافرة أنت في دمي كلمة من نور زلزلت قلبي فانشطر نصفين فأخرج أثقاله المدفونه على السنين المشتعلة شيبا، وحدي عشت مع ابني الأمل الذي لـم يأت من فتاة همت بها ورفضـتني، فرفضـتهن جميعـا" إن الضمير في (رفضتهن) يعود إلى مجموعة من النساء لسـن مذكورات في النص، ولا يمكن أن نتعرف على المرجـع إلا من خلال تضافر السياق الاجتماعي والسياق النصي الـذي يشير إلى رفض الفتاه له يقابله رفضه لمجموعة مـن بنـات جنسها.

تقسيم الإحالة من حيث المدى:

تنقسم الإحالة داخل النص من حيث المدى الإحالي الفاصل بين الأداة وما تشير إليه وتصدق عليه إلى نوعين:

(١) إحالة ذات مدى قريب ، سواء كانت إحالة قبلية أو بعدية، وتكون المسافة الفاصلة بين الأداة الإحالية ومرجعها لا تتعدى حدود الجملة الواحدة، وتلك الإحالة تكون قوية في صنع الترابط والاتساق، ومثالها قول الأديب أحمد الزعبي في قصة (بيتهوفن)[٤٩] : " أغلقت المرأة الأبواب والنوافذ في بيتها" الضمير في بيتها يعود إلى المرأة المذكورة في الجملة نفسها، والملاحظ أن الإحالة هنا قريبة المدى .

ويمكن أيضا أن يكون ذلك في الإحالة البعدية كقوله في (قصة بين فكي الأسد): "وعندما لمحوه كانوا ثلاثة" حيث جاءت واو الجماعة في (لمحوه) محيلة إحالة بعدية على الثلاثة في الجملة نفسها.

(٢) إحالة ذات مدى بعيد، تكون فيها المسافة الفاصلة بين الأداة الإحالية ومرجعها في جمل متباعدة من النص، وتظهر الإحالة في فضاء النص المتباعد؛ حيث يظل فيها المتلقي مترقبا لتصيد ما تشير إليه الأداة الإحالية، ومثالها قصة " القنبلة" للأديب أحمد الزعبي، حيث يتبين مرجع

الضمير إلى الرجل الذي ذكر في نهاية القصة، وكذلك قصة الأديب إبراهيم سعفان " لليل قلب" حيث يظهـر أن مرجـع الضمير يعود إلى (العروسة) في نهاية القصة، غير أنه ينبغي الإشارة إلى كلام روبرت دي بوجراند السابق الذي أكد فيـه أنه ليس من المستحسن أن نجعل مسافة كبيـرة بـين اللفـظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة حيث يمكن أن يسبب ذلك غموضا أو لبسا أو قلقا عند المتلقي يفقد معه متابعة النص.

الإحالة بين الإفراد والتعدد

يمكن للأدوات المحيلة أن تصدق على شىء واحد ، كما يمكن لها أن تصدق على أكثر من شىء، والذي يحدد ذلـك كله النص بما يحمله من دلالات ومفاهيم، وسياقه هو الـذي يساعد على ذلك وفي هذه الحالة يطلق على هذه الإحالة أنها أحادية فعندما نقرأ قوله تعالى " وإذ قال موسى لقومـه ، إن ا يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ با أن أكون من الجاهلين، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة .. " (الآيتان ٦٧، ٦٨ من سورة البقرة)

لقد تحدد مرجع الضمائر مع تعددها وتكرارها، فكل ضـمير يعود إلى ما هو له دون احتمال، فالهاء في قومه، والضـمير المستتر في: قال، وأكون، جـاء لموسـى دون غيـره أمـا الضمير في : تذبحوا وقالوا، فقد جـاء لقـوم موسـى دون احتمال آخر، أما الضمير في قوله: إنه يقول، فقد جاء للمولى عز وجل دون احتمال آخر، وإذا قرأنا قوله تعالى: " من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمـل الصالح يرفعه" (سورة فاطر١٠) .

فإننا نجد أحادية الإحالة في ضمير (إليه) ومرجوعه إلى المولى عز وجل ، أما ضمير الفاعل في يرفعه فيحتمل عوده إلى [٥٠]:

١- إلى المولى سبحانه وتعالى، وهو مـا عـاد عليـه الضمير في (إليه).

٢- إلى العمل، ويكون المعنى أن العمل الصالح هو الذي يرفعه الكلم الطيب.

٣- إلى الكلم، ويكون المعنى أن الكلم الطيب، والمقصود به التوحيد، يرفع العمل الصالح؛ لأنه لا يصح العمل إلا مـع الإيمان. وهذه الاحتمالات كلها جائزة، ودلالتها محتملة غير

مستحيلة، وهي تنعكس على المؤمن، فإنه يترك الأمر كله في صعود الكلم الطيب وقبول العمل الصالح وكذلك تحض المؤمن على الربط بين العمل الصالح والقول الطيب، لأن كلاً منهما يساعد في رفع الآخر – على الاحتمالين الأخيرين- إلى ا تعالى"[٥١].

وكثير من هذه النماذج تتكرر في القرآن الكريم، ولا بأس من وجودها، فهي تساعد على اتساق النص القرآني ودلالاته وأحكامه، والمعنى الصحيح لا بأس به.

ومن قبيل التعدد ما يمكن أن يطلق عليه الإحالة المجازية . فعندما تكون الإحالة حقيقية، كما في (إليه) في الآية السابقة، فإن الأمر لا يعدو الأحادية، أما إذا لمحنا المجاز في الإحالة، فإن التعدد يظهر بشكل واضح، ففي الآية السابقة الفاعل الحقيقي لرفع العمل الصالح هو ا سبحانه وتعالى.

أما على المعنيين الآخرين، فإن المجاز هو الذي يبيح هذا التعدد؛ حيث يرفع الكلم الطيب العمل الصالح أو يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيامهما بالرفع مجاز .

ومثال ذلك قوله تعالى: "كان الناس أمة واحدة فبعـث ا
النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق لـيحكم
بين الناس فيما اختلفوا فيه" (سورة البقرة آيـة ٢١٣) يشـير
محمد فخر الدين الرازي[٥٢] ، إلى أن الفعل (ليحكم) فعل لابد
من استناده إلى شىء تقدم ذكره، وقد تقدم ذكر أمور ثلاثة .
أقربها إلى هذا الفعل: الكتاب ، ثم النبيون، ثم ا ، ولا بأس
في أن يكون إضمار كل واحد منها صحيحا، فيكون المعنى:
ليحكم ا أو النبي المنـزل أو الكتاب، ثم إن كل واحد مـن
هذه الاحتمالات تختص بوجه ترجيح . أما الكتـاب فلأنـه
أقرب المذكورات ، أما ا ، فلأنه سبحانه هو الحـاكم فـي
الحقيقة لا الكتاب ، وأما النبي فهو المظهر، وعلى هذا يكون
إسناد الحكم إلى ا حقيقة، وإسناد الحكم إلى الكتاب مجازاً،
حيث يفيد إسناد الحكم إلى القرآن تفخيم شأنه وتعظيم حاله.

وكلام الرازي مقبول في الحكم على الإسناد بالحقيقة،
وكذلك الحكم على الإسناد للكتاب بالمجاز، وهذا ما صنع تلك
التعددية . أما إسناد الحكم للنبيين الذي أشار إليه الرازي فإنه
مستبعد، وذلك لأن الضمير فـي لـيحكم للمفـرد المـذكر،
والمذكور في الآية جمع المـذكر (النبيـون) ونـص الآيـة

(ليحكم) وليس (ليحكموا) فانتفى أن يكون الضمير للنبيين، أما قوله:" النبي هو المظهر" فهذه حقيقة، لكن الخطـاب لـم يشر إلى نبي واحد .

الإحالة الموسعة

من الإحالات ما يطلق عليه الإحالـة الموسـعة، فاسـم الإشارة المفرد يتميز بما يسمى " الإحالـة الموسـعة"[٥٣] أي إمكانية الإحالة إلى جملة بكاملها أو متتالية مـن الجمـل، أو ربما الخطاب كله؛ حيث إنه يشير إلى معلومات مسلمة لدى المتلقي، وهنا توجد إمكانية أن تصدق الإحالة علـى جملـة كاملة أو جمل متوالية أوالخطاب كله، حيث تنشّـط الإحالـة مساحة كبيرة من المعلومات بشكل موسع.

ففي قصة (انتحار علني) للأديب أحمد الزعبـي، بـدأت القصة بإعلان طويل عن انتحار رجـل، وطالـت مسـاحة الإعلان إلى عشرة أسطر ثم قال المؤلف :"الصحف لا تنشر تعميما على نحو كهذا، على الـرغم مـن هـذه المناسـبة المتعارف عليها"

إن اسم الإشارة (هذا) امتد ليشمل مجموعة متوالية مـن الجمل حملت مجموعة كبيرة من الأخبار والتحديدات الزمانية

والمكانية ، على حين أن لفظ (هذه) في نص الزعبي أشـار إلى (المناسبة) فقط . فدل على إمكانيـة الإحالـة الموسـعة لأسماء الإشارة أو الإحالة الضيقة.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد نماذج كثيرة مـن هـذه الإحالة الموسعة، كما في قوله تعالى " ذلك فضل ا يؤتيـه من يشاء وا واسع عليم" (سورة المائدة من الآية ٥٤) حيث يحيل لفظ (ذلك) إلى ما سبق في الآية الكريمة، وفي السورة نفسها آية (٨٩) قال تعالى:" ذلك كفارة أيمـانكم إذا حلفـتم" حيث جاء لفظ (ذلك) محيلا على قوله تعالى:" ... فكفّارتـه إطعام عشرة مساكين من أوسط مـا تطعمـون أهلـيكم أو كسوتهن أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام".

امتدت مساحة الإحالة واتسعت ليصدق لفظ (ذلك) على هذا النص كله.

أهمية الإحالة في الترابط النصي:

المتأمل للإحالة يرى أنها هي الوسيلة الأكثر قـوة فـي صنع التماسك الشامل للنص وتجسيد وحدته العامة، وهي لا تقل دوراً وأهمية عن بقية الوسائل، مثل: التكرار والحذف... إلخ بل إنها – في رأيي- تعد الوسيلة الأكثر قدرة على إيجاد

تماسك وترابط وصنع وحدة نصية، وذلك لأنها تقـرن بـين الترابط الرصفي والترابط المفهومي، أي بين ما هو لفظـي وما هو معنوي.

فالمتلقي يرى أمامه أداة تحيل إلى شيء لابد أن يبحـث عنه، إما فيما سبق من أجزاء النص في الإحالة القبليـة، أو فيما هو آت في الإحالة البعدية، أو أن المتلقي يعمل عقله في السياق والمقام في الإحالة إلى غير مذكور، ليوجد ما تصدق عليه الإحالة حدثا وزمانا ومكانا ومنطقا، وعلى هـذا تـأتي رتبتها في مقدمة تلك الوسائل؛ لأنها تشغل عقل المتلقي كثيراً بالبحث عن مرجع الأداة خلافا للتكرار الذي يعطي الطـابع اللفظي غالبا، وكذلك الاستبدال أو البدل.

والإحالة بذلك تكون وسيلة مهمة من وسـائل الاتسـاق؛ حيث إنها تحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل الـنص، فهناك علاقات معينة إذا توافرت في نص ما تجعل أجـزاءه متآخذة مشكّلة بذلك كلا موحداً، حيث تعـد هـذه العلاقـات الدلالية مميزة للنص باعتباره وحدة دلالية[٥٤] ، ومـن هنـا تأتي أهمية الإحالة.

الإحالة بين الإطلاق والربط

المتأمل للإحالة في النص يجد أن اللفظ المحيل ينقسم من هذه الناحية إلى نوعين:

(١) لفظ مربوط أو (مضمر مربوط) وهو المضمر الذي يتوفر له مفسر يحكمه في النص ، وهذه الإحـالات كثيـرة، سابقة أو لاحقة؛ حيث تصدق على شيء محدد وواضح داخل النص ونماذجها كثيرة فيما مر من أمثلة، حيث تعود الإحالة إلى شيء محدد.

(٢) لفظ حر أو (مضمر حر) وهو ما كان على خـلاف الأول، ومنه في اللغة العربية ما يحيل عليه الاسم الموصول المشترك[55]. ففي الحديث الشريف: "إنما الأعمـال بالنيـات فمن كانت هجرته إلى ا ورسوله فهجرته إلى ا ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" فاسم الموصول المتكرر (من) يحيل إلـى فرد أو أفراد غير محددين.

عناصر البنية الإحالية:

تنقسم إلى عنصرين:

الأول: العنصر الإرشاري.

الثاني: العنصر الإحالي.

أما العنصر الأول، الإشاري، فهو عبارة عن المحال إليه من ذوات أو مفاهيم جرى التعبير عنها في شكل أسماء مفردة أو مركبات اسمية تذكر باسمها الصريح عند ورودها أول مرة في النص، ويطلق على هذه العناصر العناصر الإرشارية[٥٦] .

كذلك الأحداث والصفات التي عبر عنها المتكلم في شكل أفعال صريحة أو مشتقات، ولها مستويان:

أ) المستوى الخارجي وهو المقام العام الذي كتب فيه النص، وفي أحيان كثيرة لا يذكر هذا المقام بل يظل ملحوظا.

ب) المستوى الداخلي وينقسم إلى قسمين:

١- المقام الوارد على ألسنة الشخصيات النصية الموجوة بشقيه الأساسيين:

- الذوات وهي الشخصيات التي تحكي أو تسمع أو تتكلم وتحاور.

- الأحداث ، وهي ما عبـرت عنهـا الأفعـال والكلمات.

٢- القسم الثاني من المستوى الداخلي، هو عـالم النص، وهو عبارة عن نصوص فرعية بمـا تشـتمل عليه من ذوات وأحـداث وأزمنـة وأمكنـة وأقـوال وأوصاف . بعضها ضروري وبعضها ثانوي.

ثانيا: العنصر الإحالي، وهو كل لفظ كنائي يحتـاج فـي فهمه إلى مكون آخر يفسره، وهذا العنصر ينقسم إلى قسمين:

أ) عنصر إحالي معجمي، يحيل إلى لفظ دال على ذات أو معنى مجرد مثل: علم الشخص أو الزمان أو المكـان أو صفة ... إلخ.

ب) عنصر إحالي نصي، يحيل إلى مقطع كامل، جملة أو جمل متوالية، ويمكن أن يدل على الفضـاء العـام للـنص، والعنصر هنا لا يدل على مدلول لفظ معجمي، بل يدل علـى مجموعة من المعاني العامة والأحداث المفهومة مـن جمـل كثيرة، ويمثل ذلك ما ورد في الإشارة الموسـعة، والأمثلـة الواردة من القرآن الكريم في لفظ (ذلك) أو ما ورد في قصة أحمد الزعبي (انتحار علني) حيث عاد اسم الإشـارة (هـذا)

إلى مجموعة من الجمل المتوالية، حملـت فـي مضـمونها المفهوم العام للإعلان.

أما نماذج الإحالة المعجمية ففيها يمكن أن يدل العنصـر على ذات، مثل قول أحمد الزعبي في قصة (القنبلـة) قـال شاهد عيان: إنه في صبيحة اليوم التالي رأي رجـلا يحمـل قنبلة ويتجول .

فالضمير في (إنه - رأى) يعود إلى الشاهد، والضـمير في (يحمل ويتجول) يعود إلى الرجل، وهما من قبيل الذوات.

أما في قوله في القصة نفسها. " استهوتني الفكرة وشدني غموضها، وغرابتها وجنونها" فالضمير (غموضها وغرابتها وجنونها) يعود إلى الفكرة، وهي معنى، ويمكـن أن يعـود العنصر إلى حدث، فعندما نقول:

مات محمد إنها الحقيقة، فإن الضمير في (إنها) يشير إلى الموت وهو حدث.

هوامش البحث

١- معايير النصية السبعة هـي: السـبك- الحبـك – القصد – التناص – المقامية – الإعلامية – القبول.
٢- النص والخطاب والإجراء ، ص٢٩٩.
٣- النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٢٧.
٤- ص ٣٠.
٥- مادة (حول).
٦- مادة (حول).
٧- مادة (حول).
٨- النص والخطاب والإجراء ص ١٧٢.
٩- تحليل الخطاب ص ٣٦.
١٠- نسيج النص، من ص ١١٨ إلى ١٢٠، إضافة إلى الفصل الثاني من كتابه.
١١- لسانيات النص من ١٤ إلى ١٩.
١٢- تحليل الخطاب ، ص ٣٦.
١٣- السابق نفسه.
١٤- النص والخطاب والإجراء، ص١٧٣.

١٥- من المجموعة القصصية ، البحـث عـن قطعـة صابون، ص٢٥-٢٨.

١٦- النص والخطاب، ص١٧٢.

١٧- من المجموعة القصصية: البحث عن قطعة صابون ، ص٤٠- ٤٢.

١٨- تحليل الخطاب ، ص٢٤٥.

١٩- تحليل الخطاب ، ص٢٣٠.

٢٠- النص والخطاب والإجراء، ص٣٢٠.

٢١- نسيج النص، ص ١١٥، ١١٦.

٢٢- مقدمة كتاب النص والخطاب والإجراء، ص ٣٣.

٢٣- لسانيات النص، ص١٩.

٢٤- انظر الفصل الخامس من النص والخطاب وكـذلك انظر مقدمة مترجم الكتاب، ص ٣٢.

٢٥- نسيج النص، ص١١٨.

٢٦- تحليل الخطاب، ص٢٥٦.

٢٧- نسيج النص، ١١٦.

٢٨- النص والخطاب والإجراء، ص٣٢٠.

٢٩- الأشباه والنظائر ، ٢٨/١ .

٣٠- ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ص ٣٥١

٣١- مجموعة قبل أن تنطفئ النار، ص٥٧.

٣٢- تحليل الخطاب ، ص ٢٤٨.

٣٣- قبل أن تنطقئ النار، ص ٥٥.

٣٤- قبل أن تنظفئ النار، إبراهيم سعفان، ص٢٥.

٣٥- البحث عن قطعة صابون، ص ٤٠.

٣٦- الاستبدال هو إمكانية حذف الضمير وإتيان العلـم المقصود مكانه، وإذا نجحت عملية الاستبدال دلت على سهولة الإحالة، ولهذا لا يصح الاستبدال فـي المعطي الجديد المشار إليه بعد قليل.

٣٧- النص والخطاب والإجراء، ص ٩٢.

٣٨- النص والخطاب والإجراء، ص ٣٢٧.

٣٩- النص والخطاب والإجراء، ص٣٢٧.

٤٠- النص والخطاب والإجراء، ص ٣٢٨.

٤١- البحث عن قطعة صابون، ص ٣٧.

٤٢- قبل أن تنفطئ النار، ص٢١.

٤٣- البحث عن قطعة صابون، ص٢٥.

٤٤- قبل أن تنظفئ النار، ص ٢٥.

٤٥- نسيج النص، ص١١٩.
٤٦- نقلا عن النص والخطاب والإجراء ، ص٣٣٣.
٤٧- مقدمة النص والخطاب والإجراء ، ص٣٤.
٤٨- نقلا عن لسانيات النص، ص ١٧، والكلام لهاليدي ورقية حسن.
٤٩- المجموعة، ص٤٦.
٥٠- الإتقان في علوم القرآن ، ١٩/٢.
٥١- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١٥١/١.
٥٢- التفسير الكبير ١٥/٦.
٥٣- لسانيات النص، ص١٩.
٥٤- لسانيات النص، ص ١٦.
٥٥- نسيج النص ، ص١٢٣.
٥٦- نسيج النص، ص ١٢٦

خــاتمة

يؤكد هذا البحث دور الإحالة في إيجاد التماسك النصـي والاتساق، فهي من أهم وسائل الربط وأكثرها ظهـوراً فـي النصوص لسببين :

١- تنوع أدواتها.   ٢- كثرة ورودها في النصوص .

فلا نص يخلو من أدوات متكررة مثل : الضمائر وأسماء الإشارة والموصول وأدوات المقارنة... إلخ .
وعلى هذا فالإحالة قضية مهمة من قضايا نحو النص وعلـم اللغة النصي، ومن هنا فهي في حاجة ضرورية إلى كثير من التطبيقات على القرآن الكريم ونصـوص الشـعر العربـي، قديمه وحديثه، لتظهر لنا دقائقها وأسـرارها فـي أشـكالها وتقسيماتها المتنوعة، حيث لا يستطيع هذا البحث فـي تلـك العجالة أن يقدم كل ما يتصل بها من معلومات ، وربما كان هذا البحث بداية لبحوث أخرى عن الإحالـة أكثـر شـمولا وأغزر تطبيقاً.

المصادر والمراجع

- **الإتقان في علوم القـرآن** ، جلال الدين السيوطي، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م.

- **الأشباه والنظائر في النحو**، جلال الـدين السـيوطي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ.

- **البحث عن قطعة صابون (مجموعة قصصية)** د. أحمد الزعبي ، الأردن ، اربـد ، مكتبـة الكتـاني، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

- **تاج العروس**، محمد مرتضـى الحسـيني الزبيـدي ، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦ هـ.

- **تحليل الخطاب**. ج. ب. براون/ ج. يول ، ترجمـة د. محمد لطفي الزليطي ود. منير التريكـي ، جامعـة الملـك سعود، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- **التفسير الكبير**، محمد فخر الدين الرازي، دار الفكر . بيروت، ط. (١)، ١٩٨١م،

- **ظاهرة التخفيف في النحو العربي**، د.أحمـد عفيفـي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- **علم اللغة بين النظرية والتطبيق**، د. صبحي إبـراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٠م.

- **القاموس المحيط**، مجد الدين الفيروز آبادي ، مطبعـة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

- **قبل أن تنطفئ النـار** (قصـص قصـيرة)، إبـراهيم سعفان، الشركة العربية للنشر والتوزيع – المهندسين، العـدد ٤٢، أبريل، ١٩٩٨م.

- **لسانيات النص**، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م.

- **المعجم الوسيط**، مجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، د. أحمـد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

- **نسيج النص،** الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربـي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- **النص والخطاب والإجـراء**، روبـرت دي بوجرانـد، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القـاهرة، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م.